



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

عام على السابع من أكتوبر: تحليلات استراتيجية | 3 تشرين الثاني/نوفمبر، 2024

الفصائل العراقية المسلحة ومحور المقاومة الدور وحدوده في سياق طوفان الأقصى

تحليل استراتيجي رقم 12

عقيل عباس

وحدة الدراسات الإستراتيجية

الفصائل العراقية المسلحة ومحور المقاومة: الدور وحدوده في سياق طوفان الأقصى

سلسلة: عام على السابع من أكتوبر: تحليلات استراتيجية

تحليل استراتيجي رقم 12

وحدة الدراسات الإستراتيجية

3 تشرين الثاني/ نوفمبر، 2024

عقيل عباس

باحث مستقل. عمل سابقاً أستاذاً للصحافة والأدب في الجامعة الأمريكية في العراق - السليمانية. تشمل اهتماماته البحثية الحداثة الغربية والشرق-أوسطية، والهوية الوطنية والهوية الدينية، وعمليات التحول الديمقراطي في الديمقراطيات الناشئة. صدر له عدد من الدراسات والكتب، منها كتاب *Between the Ideal and the Real: Shiite Purism and the Dilemma of Modernity in Iraq* (Rowman & Littlefield, 2024)؛ وفصل «تحولات الهوية في خطاب الإسلام السياسي الشيعي العراقي» في كتاب «الحوزة والدولة: الإسلام الشيعي ... أسئلة السلطة والمرأة والجيوبوليتيك» (مؤسسة فريدريش إيبيرت، 2022)؛ وفصل بعنوان «التشيع العراقي بين المعرفة الطهرانية والوطنية العراقية» في كتاب «الشيعية العرب: المواطنة والهوية» (المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2019)؛ ودراسة «الإسلام السياسي الشيعي في العراق والديمقراطية التوافقية: إشكاليات الخطاب وتحديات التنوع» (سياسات عربية، 2017).

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2024

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحققها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الظعائن، قطر

هاتف: +974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
1	أولاً: خلفية تاريخية
3	ثانياً: الفصائل العراقية المسلحة وتحديّ تفعيل «وحدة الساعات»
6	ثالثاً: الموقف الشعبي تجاه الفصائل العراقية
6	خاتمة
7	المراجع

مقدمة

جاءت أحداث عملية «طوفان الأقصى» التي نفذتها حركة المقاومة الإسلامية «حماس» في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023 في ما يُعرف بغزة، والردّ العسكري الإسرائيلي العنيف ضدّها، فُجأةً لأطراف «محور المقاومة» المختلفين، بما فيهم الفصائل العراقية. وفي سياق هذه المفاجأة القوية، والمصالح المختلفة والمتضاربة لهذه الفصائل، حاول بعضها – وليس كلها – إيجاد سبيل حقيقي له للدخول في هذه المواجهة دعماً لحماس، لكن كان يعوزها التنظيم والرؤية بخصوص نوعية المشاركة وكيفيةها، ما جعل مشاركتها هذه في آخر المطاف غير فعّالة وقليلة الأهمية ومشوبة بالكثير من المبالغة الإعلامية.

تسلّط هذه الورقة الضوء على مشاركة هذه الفصائل عبر «محور المقاومة» الذي تنتمي إليه إيران وتتزعمه في تفعيل مفهوم «وحدة الساحات» دعماً لحماس، ومن ثمّ لحزب الله، في مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية في حربها الآخذة في الاتساع في المنطقة، واستكشاف أسباب ضعف هذه المشاركة، فضلاً عن العواقب المستقبلية المحتملة لكامل تجربة الفصائل العراقية المسلحة في «محور المقاومة».

أولاً: خلفية تاريخية

على الرغم من جذور الفصائل العراقية المسلحة القديمة نسبياً قبل عام 2003 وبعده، ووجودها في الحيز العراقي العام، فإنها برزت على نحو خاص في سياق الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام «داعش»، بعد سقوط الموصل في يده في عام 2014 وسيطرته على ثلث مساحة البلد في غضون أسابيع قليلة.

وبعد أن انتهت هذه الحرب باسترجاع كامل الأراضي العراقية في عام 2017، ارتبطت شرعية استمرار هذه الفصائل التي انضوى بعضها إلى مؤسسة الحشد الشعبي الرسمية العراقية، في حين بقي البعض الآخر خارجها، بهدف خارجي، وليس داخلياً عراقياً، ألا وهو العمل في إطار «محور المقاومة» الساعي لتحرير فلسطين. لكنّ هذه المهمة الأخيرة غير واضحة المعالم لجهة كيفية تحقيقها ومداه الزماني، ومع ذلك، فقد مثّلت مصدر الشرعية الأساسي الذي استندت إليه هذه الفصائل لتبرير استمرار وجودها بعد الانتهاء من تحدي داعش.

في إطار غياب الرؤية العام هذا، وتسارع الأحداث بعد عملية طوفان الأقصى، والحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، جاءت العملية المسلحة الأولى من العراق بعد أيام قليلة من اندلاعها، في 18 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، على يد تنظيم عراقي مجهول نسبياً اسمه «تشكيل الوارثين»، والتي استهدفت قاعدة أميركية في شمال العراق في إقليم كردستان، وذلك «ضمن عمليات إسناد طوفان الأقصى» بحسب ما أشار إليه بيان التنظيم¹. وبعد عدة أيام، برز تنظيم باسم «المقاومة الإسلامية في العراق» ليشكل مظلة عامة للفصائل المسلحة العراقية، وتبني هذه العملية وحذف بيان الوارثين²، لتبدأ المظلة الجديدة بتبني شنّ هجمات ضد القوات الأميركية في العراق وسورية؛ الساحة التقليدية لعمل الفصائل العراقية المسلحة.

وعلى مدى الأشهر التالية، حرصت هذه المقاومة على إبراز دورها في المواجهة ضد إسرائيل من خلال توثيق عملياتها والإعلان عنها، وحتى تقديم إحصائيات بشأنها، ففي نهاية نيسان/ أبريل 2024؛ أي بعد نحو ستة أشهر على عملية طوفان الأقصى، نشرت هذه المظلة إحصائيات تفصيلية لعملياتها. ووفقاً لها، شنت

1 "تشكيل الوارثين يعلن استهداف قاعدة عسكرية أميركية في أبريل"، **المطلع**، 2023/10/18، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOkD>

2 حمدي مالك ومايكل نايتس، "لمحة عامة: 'المقاومة الإسلامية في العراق'"، **تحليل موجز**، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، 2023/10/21، شوهد في 2024/10/30، في:

الفصائل العراقية المنضوية إلى هذه المظلة 243 عملية؛ 90 منها في العراق، و88 داخل إسرائيل، و65 في سورية³، ما يشير إلى أن الأغلبية الساحقة من هذه العمليات استهدفت القوات الأميركية في العراق وسورية.

وكان واضحاً أيضاً أنه ثمة سعي للتنسيق بين الأطراف المختلفة في محور المقاومة لإبراز فكرة وحدة الساحات؛ بمعنى تشارك أطراف محور المختلفة في مواجهة واحدة، في أماكنها المختلفة وفي الوقت نفسه، عبر فتح مواجهة عسكرية ضد عدو مشترك⁴. ففي حين نشرت فيه المقاومة الإسلامية في العراق هذه الإحصائية التي تجرد فيها عملياتها، نشر تقريباً طرفاً المحور الأخرى، حزب الله وأنصار الله «الحوثيون»، إحصائيات شبيهة تتضمن العمليات التي قاما بها⁵. وبعد أقل من شهر من هذه الإحصائية، في حزيران/ يونيو تحديداً، أعلن أحد أكثر الفصائل العراقية أيديولوجيةً وانضباطاً وانخراطاً في حرب غزة، كتائب حزب الله، أنه ينسّق مع الحوثيين في اليمن لشنّ عمليات في داخل إسرائيل، في إطار الانخراط الأوسع في تطبيق وحدة الساحات⁶.

بغض النظر عن الأرقام العالية التي تنشرها الفصائل العراقية لعملياتها وخطابها المتوعد لإسرائيل ذي السقوف العالية، على نحو لا يختلف كثيراً عن خطاب أطراف محور المقاومة الأخرى (حماس وحزب الله والحوثيون)، فإن عملياتها كانت الأقل تأثيراً مقارنةً بأطراف المحور الأخرى، بل إنها شهدت تراجعاً سياسياً عنها، خوفاً من عواقب جديّة كانت هذه الفصائل ستواجهها في حال الإصرار على القيام بالمزيد منها، كما حدث في ضربتي الأردن والجولان.

تتضمن أهم عمليتين قامت بها المقاومة الإسلامية في العراق، ضربة «البرج 22» في الأردن في نهاية كانون الثاني/ يناير 2024، نفذتها كتائب حزب الله بطائرة مسيّرة، وأدت إلى مقتل ثلاثة جنود أميركيين وجرح عشرات آخرين⁷، وأدت إلى ضربات انتقامية أميركية استهدفت عشرات المواقع العسكرية للفصائل المسلحة العراقية في العراق وسورية، وتهديد أميركي على لسان كبار مسؤولي الإدارة الأميركية، بمن فيهم الرئيس جو بايدن⁸. وقاد تنفيذ التهديد الأميركي، الذي انطوى على استعداد واضح بمواصلة الرد على أيّ ضربات مستقبلية للفصائل المسلحة، إلى تعهد هذه الفصائل، عبر إعلان للفصيل الأقوى بينها، كتائب حزب الله، بتعليق تنفيذ المزيد من العمليات المسلحة، منعاً لإحراج الحكومة العراقية التي رفضت هذه العمليات بوصفها تقويضاً لعلاقة العراق بالولايات المتحدة الأميركية⁹.

أما الضربة الثانية، فهي التي حدثت في مطلع تشرين الأول/ أكتوبر 2024، واستهدفت فيها المقاومة الإسلامية في العراق بحسب بيان لها بطائرات مسيّرة قاعدةً عسكرية إسرائيلية في الجولان المحتل، وأدت

3 "200 يوم على الحرب.. إحصائية عمليات المقاومة الإسلامية في العراق"، الميادين، 2023/4/26، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zP9n>

4 ظهر مفهوم "وحدة الساحات" تطبيقاً عملياً لأول مرة في عام 2021، على خلفية أحداث حي الشيخ جراح في القدس حينما حاولت السلطات الإسرائيلية إخراج عوائل فلسطينية من المساكن التي تسكنها على مدى أجيال، ما تسبّب في اندلاع احتجاجات امتدت بسرعة في الأراضي الفلسطينية المحتلة والداخل المحتل. وبدأ على إثرها، إطلاق الصواريخ من قطاع غزة وجنوب لبنان وسورية، مع ارتفاع وتيرة عمليات المقاومة في الضفة الغربية، واندلاع مواجهات في عدة مناطق في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ينظر: قاسم قصير، "وحدة الساحات أو وحدة الجبهات أو محور المقاومة: بين الشعارات والوقائع"، أوراق سياسات، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (2023)، شوهد في 2024/10/30، في: <https://tinyurl.com/mrh4xw23>

5 "خلال 200 يوم من طوفان الأقصى.. المقاومة تنشر مجموع عملياتها"، مهر، 2023/4/23، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOLV>

6 "الأمين العام لكتائب حزب الله يبحث مع قائد الثورة اليمنية إدامة الجهوزية والتنسيق بين قوى محور المقاومة نصره لغزة"، الموقع الرسمي لكتائب حزب الله، 2024/5/24، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOP3>

7 "قاعدة البرج 22 موقع عسكري إستراتيجي يؤوي قوات أميركية بالأردن"، الجزيرة نت، 2024/1/30، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOKg>

8 Joseph Clark, "U.S. Strikes Targets in Iraq and Syria in Response to Deadly Drone Attack," U.S. Department of Defense, 2/2/2024, accessed on 30/10/2024, at: <https://acr.ps/1L9zOR1>

9 "الأمين العام الحاج الحميداني: نعلن تعليق العمليات العسكرية والأمنية على قوات الاحتلال ونوصي مجاهدينا بالدفاع السلبي مؤقتاً"، الموقع الرسمي لكتائب حزب الله، 2024/1/30، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zP3c>

إلى قتل عسكريين إسرائيليين وجرح أكثر من عشرين آخرين¹⁰. وبسبب الخوف من انتقام إسرائيلي قوي، في ظل نجاح إسرائيل في تصفية كبار الزعامات العسكرية في حزب الله وصولاً إلى اغتيال زعيمه حسن نصر الله في نهاية أيلول/ سبتمبر 2024، تنصت الفصائل العراقية من هذه العملية قائلةً إن نسب العملية إليها أمر فبركته إسرائيل¹¹.

ثانياً: الفصائل العراقية المسلحة وتحدي تفعيل «وحدة الساحات»

وضعت عملية طوفان الأقصى الفصائل المسلحة العراقية إزاء اختبار عسير يتعلق بفعاليتها العملية وعمق انتمائها إلى محور المقاومة وقدرتها على أن تكون عضواً فاعلاً أو مؤثراً فيه على نحو ينسجم مع الهدف المعلن عنه من استمرار وجودها فيه بعد هزيمة داعش في العراق. ومما زاد من عمق هذا الاختبار أكثر هو الطبيعة المفاجئة والكبيرة لعملية طوفان الأقصى نفسها، إذ جرت من دون علم أو تنسيق مسبقين مع أطراف المحور الأخرى، ومن ضمنها زعيمته إيران نفسها التي فوجئت بها، ولم تستطع القيام بالكثير لدعم حماس في مواجهتها العسكرية ضد إسرائيل في قطاع غزة¹².

يمكن تلخيص التحديات التي واجهتها هذه الفصائل في اثنين. يتمثل التحدي الأول في افتقاد هذه الفصائل، سواء أكانت مجتمعة أم منفصلة، إلى قاعدة شعبية عراقية واسعة داعمة لمحور المقاومة، أو لمشروع التحرير الفلسطيني؛ بمعنى ارتباطها به على مستوى بنيوي، أيديولوجياً ومصالحياً، بحيث تستطيع هذه الفصائل الاستناد إلى هذه القاعدة لتفعيل مشاركتها في مشروع التحرير، أو المطالبة بالدخول فعلياً فيه عسكرياً. فظهر مثلاً، على امتداد عام المواجهة بين حماس وحزب الله والحوثيين من جهة وإسرائيل من جهة أخرى، غياب الدعم الشعبي العراقي للدخول في المواجهة العسكرية الدائرة، حتى مع وجود بعض التعاطف مع العمليات المسلحة لأطراف محور المقاومة. وأظهر غياب هذه القاعدة الشعبية الداعمة ضعف هذه الفصائل وانعزالها عن المجتمع وتمثيلها مصالح فتوية محدودة، وليست شعبية واسعة، ما سهل ممارسة الضغوط السياسية العراقية عليها للحد من دخولها في المواجهة العسكرية المباشرة.

أمّا التحدي الثاني فتمثل في ضعف قدرة الفصائل على العمل سويةً على نحو سريع لتفعيل وحدة الساحات في إطار محور المقاومة، وتخفيف الضغط الهائل الذي كان يواجهه عضو المحور الآخر، حماس، المحاصر في غزة في سياق عملية عسكرية إسرائيلية شرسة هدفها القضاء عليه. وجاء فشل الفصائل في العمل معاً حتى بعد اصطافها تحت المظلة الجامعة «المقاومة الإسلامية في العراق» لتقديم نفسها على أنها منظومة واحدة متناسقة ومتعاظمة، خصوصاً في وقت الخطر والشدة، كالذي مثلته مرحلة ما بعد طوفان الأقصى.

في حقيقة الأمر، لم يكن بين عشرات الفصائل العراقية المنتسبة إلى محور المقاومة، والتي بنت جزءاً أساسياً من شرعيتها عبره، إلا ثلاثة هي التي شاركت فعلياً في «الجهاد» المسلح ضد إسرائيل والولايات المتحدة بعد عملية طوفان الأقصى¹³. وتتضمن هذه الفصائل كتائب حزب الله، وحركة النجباء، وكتائب سيد الشهداء؛ إذ تطلعت الأولى والثانية بالقتال، في حين توفر الثالثة الدعم اللوجستي بحسب الحاجة إليه. وتعد هذه الحركات،

¹⁰ "مقتل جنديين إسرائيليين بانفجار طائرة مسيرة عراقية بقاعدة عسكرية في الجولان"، المركز الفلسطيني للإعلام، 2024/10/4، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOSJ>

¹¹ Suadad Al-Salhy, "Exclusive: Iraqi Groups Say Israel Fabricated Deadly Golan Drone Attack," *Middle East Eye*, 5/10/2024, accessed on 30/10/2024, at: <https://acr.ps/1L9zOYg>

¹² Zachary Cohen et al., "Initial US Intelligence Suggests Iran was Surprised by the Hamas Attack on Israel," *CNN*, 11/10/2023, accessed on 30/10/2024, at: <https://acr.ps/1L9zOVa>

¹³ "إيران إنترناشيونال" تكشف تفاصيل تعاون قادة 3 ميليشيات عراقية مع الحرس الثوري الإيراني، *إيران إنترناشيونال*، 2024/6/25، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOQg>

خصوصاً الأوليين، الأكثر انضباطاً وأيديولوجيةً من بقية الفصائل العراقية المسلحة، فضلاً عن اضطلاعهما بأدوار إقليمية عابرة للحدود، ومشاركتهما القوية في الحرب الأهلية السورية دفاعاً عن نظام بشار الأسد. وفي الحقيقة، ظهرت الخلافات سريعاً بين الفصائل المسلحة العراقية لجهة حقاً يمكن إطلاق صفة المقاومة عليها، في ظل رفض الكثير منها الدخول في المواجهة المسلحة ضد الولايات المتحدة وإسرائيل دعماً لحماس. وفي هذا الصدد، اتهم الناطق باسم حركة النجباء، حسين الموسوي، حركة عصائب أهل الحق بأنها أصبحت خارج «ميدان المقاومة»¹⁴.

ويشير مثل هذا الإعلان النادر عن الاختلاف بين «فصائل المقاومة» العراقية إلى ثلاث حقائق مهمة بخصوصها وصلتها بمحور المقاومة. الحقيقة الأولى هي تراجع «الحسّ الثوري» والسلوك المرتبط به لصالح «الحسّ المؤسساتي» لدى الكثير من الفصائل المسلحة العراقية نتيجة دخولها في البنية الرسمية للحكم في العراق، من خلال الإطار التنسيقي، الكتلة البرلمانية الشيعية الحاكمة التي منها تشكلت الحكومة الحالية برئاسة محمد شياع السوداني. فعصائب أهل الحق، التي يقودها الشيخ قيس الخزعلي، وتعدّ من أكبر الفصائل، إن لم تكن أكبرها جميعاً، اندرجت في معادلة الحكم في البلاد وتوسعت لتحقيق مكتسبات سياسية مؤسسية لها. فهي، مثلاً، مهتمة برفع اسمها من قوائم الإرهاب الأميركية والعقوبات المالية التي أصدرتها في حقها الخزانة الأميركية، عبر أدائها «دوراً بناءً» يقوم على تجنب استهداف القواعد الأميركية في العراق، باسم المصلحة الوطنية العراقية، والدفع، من وراء الكواليس، إلى عدم رفع السلاح ضد الأميركيين. ويمثّل هذا السعي للتخلص من طائلة العقوبات الأميركية جزءاً من جهد أوسع للتحويل من الميليشياوية إلى حركة عادية لها مستقبل سياسي عراقي، وذلك في ظل تصاعد التبرّم الشعبي العراقي من الميليشياوية بوصفها ظاهرة سياسية - عسكرية - اقتصادية في الحياة العامة. وينطبق هذا الأمر بصور مختلفة على معظم الفصائل العراقية المسلحة التي وجدت لها، أول مرة، تمثيلاً رسمياً أو شبه رسمي في الدولة العراقية عبر منظومة المحاصصة السياسية، على إثر دخول الكثير منها في الانتخابات البرلمانية والمحلية العراقية، ومحاولتها عبر ذلك صنع قاعدة سياسية شعبية واقتصادية مستقلة لها، بعيداً عن أيديولوجية المقاومة التي تحاذر من هذا النوع من «التدجين» المؤسساتي. وفي حقيقة الأمر، اكتفت الأغلبية الساحقة من الفصائل المسلحة العراقية، التي يتجاوز عددها جميعاً 60 فصيلاً¹⁵، بالتصريحات الإعلامية المتوقعة لإسرائيل والولايات المتحدة، والداعمة لأطراف المحور الأخرى الداخلة في الصراع العسكري (حماس وحزب الله والحوثيون)، لكنها عملياً لم تدخل في الحرب التي أعقبت طوفان الأقصى.

أمّا الحقيقة الثانية، فهي ضعف الفاعلية القتالية والعملياتية للفصائل العراقية، التي لا تملك إلا تجربتين قتاليتين أساسيتين؛ الأولى قتال تنظيم داعش في العراق، والثانية القتال في سورية دفاعاً عن نظام بشار الأسد. وفيهما، تلقت الفصائل دعماً حكومياً، وكانت تقاوم إلى الجانب الرسمي والمؤسساتي، وليس الجانب «المعارض» أو «المقاوم» الذي عليه أن يواجه تحديات إضافية كثيرة من ضمنها امتلاك الخصم الرسمي، الدولة، للأرض والشرعية القانونية والإمكانات اللوجستية والمادية الناشئة عن هذه الحقيقة المؤسسية المهمة. لذلك، لم تتطور لديها القدرات القتالية، لا لوجستياً ولا عملياتياً، كتلك التي تطورت مثلاً لدى حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية اللتين تعملان في ظروف مختلفة عن ظروف عمل الفصائل العراقية.

وعلاوةً على ذلك، لا تتميز هذه الفصائل بالتنسيق العالي بينها، بل بالتنافس على الموارد بكل ما يعنيه هذا من خصومات تنشأ بينها. وأصبحت إدارة هذه الفصائل والسيطرة على الخلافات بينها تحدياً واضحاً بعد اغتيال الولايات المتحدة في بغداد مطلع عام 2020، القائد السابق لفيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، قاسم سليمان، ونائب رئيس الحشد الشعبي العراقي، أبو مهدي المهندس، وهما الشخصيتان اللتان عُرفتا بقدرتهما

14 "النجباء: العصائب خارج ميدان المقاومة.. صار حكرًا لنا وللكاتب فقط"، إيشان، 2024/6/25، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOqK>

15 "الفصائل العراقية الموالية لإيران.. دروع الثورة الإسلامية" في بلاد الرافدين، الجزيرة نت، 2024/2/22، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zPdD>

على ضبط الفصائل المسلحة العراقية، سواء العاملة داخل مؤسسة الحشد الشعبي الرسمية أم خارجها، وجعلها تعمل بقدرٍ من تنسيقٍ وفاعليةٍ بينها. وبعد غيابهما، لجأت إيران إلى حزب الله اللبناني لمساعدتها في ضبط الفصائل العراقية من خلال توليه دوراً إشرافياً وتنسيقياً¹⁶، وهو الدور الذي كان فاشلاً في آخر المطاف.

أظهرت عملية طوفان الأقصى، على نحو غير مقصود، مكامن ضعف هذه الفصائل؛ فمثلاً على نحو عام لم تستطع، بخلاف الحوثيين أو حزب الله، أن تؤدي دوراً مستقلاً وأصيلاً ومستداماً في توفير الدعم لحماس عبر إشغال بعض الموارد الإسرائيلية، على الأقل، في الساحات المختلفة لمحور المقاومة. فعلاوة على تركيزها على استهداف القوات الأميركية في العراق، وهي التجربة التي تدرّست فيها على مدى سنوات، لكنها لم تستطع القيام بشيء جدّي وملموس على الجبهة الإسرائيلية، باستثناء عملية الجولان التي سرعان ما تراجعت عنها. وقبل هذا، حتى أشد الفصائل العراقية التزاماً بـ «وحدة الساحات» واستعداداً لتنفيذها، كتائب حزب الله، شعرت بالحاجة إلى شراكة مسلحة معلنة، مثلاً مع الحوثيين¹⁷، لتنفيذ عمليات عسكرية ضد إسرائيل. وعلى الأرجح، ارتبطت موافقة الحوثيين على هذه الشراكة، التي هدفها إبراز المساهمة المفترضة للفصائل العراقية في الرد العسكري على إسرائيل، بتمويل هذه الفصائل عبر مؤسسة الحشد الشعبي شراء مسيرات للحوثيين¹⁸، وتقديم خدمات أخرى لهم في العراق كالتدريب والدعم وغير ذلك. وفي إطار تحضيرات محور المقاومة لمساندة حزب الله في لبنان في حال شنّ إسرائيل هجوماً كان مرتقباً حينها ضده، رفض الحزب في أيار/ مايو 2024، مشاركة الفصائل العراقية في هذه المساندة بسبب تحفظاته على أدائها¹⁹، فضلاً عن الاعتبارات الداخلية اللبنانية الأخرى، التي يتعلق بعضها بالرفض المتوقع للأطراف السياسية اللبنانية المناهضة لحزب الله وجود «مقاتلين أجنب» في بلادهم؛ ما يضعف موقفه في الجدل اللبناني الداخلي، في حين يتعلق البعض الآخر بافتقاد حاضنة اجتماعية لبنانية تستطيع استيعاب وجود الفصائل العراقية هناك، ما يحولها إلى عبء على حزب الله نفسه.

والحقيقة الثالثة هي الدور المتصاعد للحكومة العراقية في ردع الفصائل عن الدخول في مغامرات عسكرية، أو محاولة سلب الحكومة سلطة اتخاذ قرارات الحرب والسلام، وهي السلطة التي تخضع لتحديد مستمر من جانب الفصائل. فعلى سبيل المثال، بعد قيام الفصائل بضربة البرج 22 في الأردن، مارست الحكومة مجموعة من الضغوط لمنعها من المضي في مسار المواجهة العسكرية، وصولاً إلى تهديد رئيس الحكومة، السوداني، بالاستقالة من منصبه في حال تواصل أعمال الفصائل العسكرية²⁰. وتضمنت بعض هذه الضغوط صناعة تحشيد سياسي ومؤسسي عراقي ضد هذه الأعمال²¹، وممارسة الضغط على إيران للمساعدة في ردع الفصائل؛ فقد التقى السوداني بقائد فيلق القدس الإيراني إسماعيل قانني لهذا السبب، وتأكيد الأخير للسوداني «أن طهران لا تريد جعل العراق ساحة لتصفية الحسابات مع أميركا، ولا تريد زعزعة أمن العراق واستقراره»²². فرغبة إيران الواضحة في الحفاظ على مصالحها الواسعة والمتنوعة في العراق، الاقتصادية والسياسية، خصوصاً في مجالات تصدير البضائع إليه والالتفاف على العقوبات الأميركية ضدها، تتجاوز أهمية

16 "محمد كوثراني اللبناني 'مايسترو' الملف العراقي"، **سويس إنفو**، 2020/4/21، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zP7f>

17 عدنان الجبرني، "محور جديد: أبعاد التنسيق الاستراتيجي بين جماعة الحوثيين والفصائل العراقية"، **تحليلات**، مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية، 2024/8/7، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOUg>

18 "هل هناك تواجد للحوثيين في العراق؟"، **الساعة**، 2024/6/5، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zPce>

19 علي السراي، "الحرس الثوري يفحص خطاً عراقية لدعم 'حزب الله'، **الشرق الأوسط**، 2024/6/25، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOAY>

20 وان نيوز، "السوداني يهدد الفصائل بالاستقالة من منصبه ووعدهم بشيء خطير"، وان نيوز، يوتيوب، 2024/1/31، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zP6I>

21 فاضل النشمي، "الرئيس العراقي: حرب الفصائل ضد أميركا لا تخدم غزة"، **الشرق الأوسط**، 2024/2/10، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOsW>

22 عادل النواب، "مصادر عراقية لـ 'العربي الجديد': قانني زار بغداد سراً واجتمع مع قيادات بفصائل مسلحة"، **العربي الجديد**، 2024/1/31، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOnN>

دور الفصائل المحدود في دعم «محور المقاومة». كما أدت الحكومة دوراً في الوساطة بين الأميركيين والفصائل المسلحة للتوصل إلى هدنة طويلة الأمد بينهما وإدامتها بعد ضربة الأردن. وفي المقابل، قدّمت الحكومة للفصائل بعض التنازلات كما في وعدها لها بإنتاج جدول لانسحاب القوّات الأميركية من العراق، وهو ما نجحت في إنجازه مؤخراً عبر التوصل مع الجانب الأميركي إلى ترتيبات الانسحاب على مرحلتين، تنتهيان في أيلول / سبتمبر 2026²³.

ثالثاً: الموقف الشعبي تجاه الفصائل العراقية

عكس الموقف الحكومي رغبةً شعبيةً وسياسيةً متصاعدة عراقية في الابتعاد عن الصراعات الخارجية والتركيز على حل المشاكل الداخلية العراقية وتجنّب الاصطدام بالولايات المتحدة بسبب أثمانه الباهظة. وحتى الأطراف السياسية داخل الإطار التنسيقي المتحالف مع إيران، وقفت مع الحكومة ضد الأطراف المسلحة فيه المتمثلة في الفصائل. وفضلاً عن ذلك، ثمة تمييز لافت برز من الموقف الشعبي، الأقوى في سلبيته من الفصائل المسلحة وتشكيكه فيها من موقف الأطراف السياسية والحكومية، وهو ارتباط التبرّم الشعبي العراقي العام بسلوك الفصائل داخلياً، وليس بالضرورة بعدم الرغبة في دعم حماس ضد الهجوم الإسرائيلي، أو بغياب التعاطف العراقي العام مع عملية طوفان الأقصى، أو فكرة تحرير فلسطين الحاضرة بقوة تاريخياً في الثقافة الأيديولوجية والسياسية العراقية. وفي هذا، تفتقد الفصائل المسلحة إلى القاعدة الشعبية الحقيقية، وليست الزبائنية المشروطة، منذ سنوات. وقد ظهر ذلك مثلاً في نتائجها المتواضعة في الانتخابات البرلمانية في عام 2021، على الرغم من مقاطعة معظم معارضي هذه الفصائل لهذه الانتخابات، وفي عجزها عن تنظيم احتجاجات شعبية حقيقية عند اعتراضها على نتيجة الانتخابات، إذ لجأت إلى إصدار أوامر مخالفة للقانون لموظفين رسميين، الحشد الشعبي، للمشاركة في احتجاجات حزبية بوصفهم مواطنين محتجين²⁴.

وأخيراً، ارتبطت الفصائل المسلحة على الصعيد العراقي بسلوكيات تتصل بالفساد والتغوّل والقمع والطائفية، ما تُعرف على نحو رئيس لدى عموم العراقيين من خلال هذه السمات. وباستثناء بعض النقاشات النخبوية المتناثرة بخصوص الإمكانية الفعلية لدخول العراق في دعم حماس عسكرياً وجدواها، لم تشهد البلاد نقاشاً جدّياً بخصوص السياسة العراقية نحو فلسطين، بل تركّز معظم النقاش، والغضب معه، حول الفصائل المسلحة، في إطار سلبى غالباً. وفي هذا السياق، قامت الحكومة العراقية بالمطلوب منها شعبياً والمتميسر لها في هذا الصدد، على نحو لا يختلف عمّا قامت به الدول العربية الأخرى: تقديم المساعدات الإنسانية، والدعم المعنوي والسياسي، من دون التورط عسكرياً في مواجهة مع إسرائيل أو الولايات المتحدة.

خاتمة

أظهرت عملية طوفان الأقصى والنتائج التي تمخّضت عنها حتى الآن فشل استراتيجية وحدة الساحات عموماً، إذ لم يستطع محور المقاومة إحداث تغيير جدّي في سلوك إسرائيل لجهة ردها عسكرياً، ولا تغيير المعادلة العسكرية أو السياسية على الأرض. كما لا يبدو أن التطورات العسكرية أو السياسية المحتملة، في ظل هذه الحرب التي لا تزال دائرة، لصالح محور المقاومة، بل يبدو أنها في الاتجاه المعاكس: إعادة

23 Paul McLeary, "US to Announce Plan to Draw Down Troops in Iraq," *Politico*, 20/9/2024, accessed on 30/10/2024, at: <https://acr.ps/1L9zOPD>

24 زيد سالم، "احتجاجات القوى الخاسرة بالانتخابات لا تلقى تفاعلاً في الشارع العراقي"، *العربي الجديد*، 2021/10/23، شوهد في 2024/10/30، في: <https://acr.ps/1L9zOkH>

الاعتبار الدولي والإقليمي، وحتى الوطني بمقدار معين، للبنى التقليدية المؤسساتية كالدولة، كما في حالة السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية والحكومة اللبنانية، على حساب الثورة، وحتى بالضد منها، كحماس وحزب الله. ويبدو هذا واضحاً في سياقات الطول الإقليمية والدولية المقترحة للحرب الدائرة، إذ تتضمن هذه الطول المقترحة قرارات دولية وترتيبات وطنية يجري تداولها واسعاً، تقوم على إضعاف البنى الثورية لصالح المؤسساتية، كما في تولي السلطة الفلسطينية إدارة قطاع غزة واندراج حماس في منظمة التحرير الفلسطينية بوصف الأخيرة الممثلة الشرعية والرسمية للشعب الفلسطيني، ونزع سلاح حماس. والأمر ذاته ينطبق على حزب الله، وإن كانت التعقيدات المحيطة بهذا الملف كثيرة ويشوبها الغموض حالياً، لكن المؤشرات الأولية تشي بدور مستقبلي أعلى وأكثر فاعلية للدولة اللبنانية لجهة بسطها سيطرتها الفعلية على كامل الأراضي اللبنانية ودعم سيادتها، ما يعني إضعافاً لحزب الله بوصفه حركة مسلحة. ومن المتوقع أن يُترجم كل هذا إلى تقويض محور المقاومة، ما ينعكس على إضعاف النفوذ الإقليمي الإيراني الذي يمثل هذا المحور إحدى أهم رافعاته.

عراقياً، ستواجه الفصائل المسلحة، على الأغلب، المزيد من الصعوبات المحلية لجهة تبرير شرعيتها الثورية باسم المقاومة، في حين ستتصاعد الدعوات الإعلامية والشعبية والسياسية بضرورة الضبط المؤسساتي لها في إطار هيئة الحشد الشعبي، والمزيد من المأسسة للأخيرة في إطار ضمان احتكار الدولة للسلاح، وهو الاحتكار الذي أظهرت أحداث ما بعد طوفان الأقصى أن الدولة العراقية لا تمتلكه، وأن الفصائل تُنافسها على هذا الاحتكار. لكنّ تصاعد مثل هذه الدعوات الصحيحة لن يعني بالضرورة أنها ستجد طريقها، كلياً أو جزئياً، للتنفيذ، لأنّ السياق العام لوجود الفصائل المسلحة العراقية واستمرارها له دينامية مختلفة مرتبطة بأسباب داخلية تتعلق بالتنافس السياسي وهشاشة الدولة وهيمنة الفساد والمحاصصة، أكثر إلى حد بعيد من ارتباطه بعوامل خارجية تتعلق بتحرير فلسطين، أو حتى العضوية الحقيقية في محور المقاومة. ويرتبط التعامل مع هذه الفصائل بقضية الإصلاح السياسي والمؤسساتي العميق والجذري في العراق لصالح ترسيخ الدولة وتأكيد سيادتها وشفافيتها أمام المجتمع بوصفها خادمة لمصالحه المشروعة، وليس الدولة الهشة الحالية التي تخدم مصالح القوى السياسية والميليشياوية المتنفذة.

المراجع

- قصير، قاسم. «وحدة الساحات أو وحدة الجبهات أو محور المقاومة: بين الشعارات والوقائع». **أوراق سياسات**. مؤسسة الدراسات الفلسطينية (2023). في: <https://tinyurl.com/mrh4xw23>
- مالك، حمدي ومايكل نايتس. «لمحة عامة: 'المقاومة الإسلامية في العراق'». **تحليل موجز**. معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى. 2023/10/21. في: <https://acr.ps/1L9zOkF>
- الجبزني، عدنان. «محور جديد: أبعاد التنسيق الاستراتيجي بين جماعة الحوثيين والفصائل العراقية». **تحليلات**. مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية. 2024/8/7. في: <https://acr.ps/1L9zOUg>